نور الشام



دورية صادرة عن هيئة الشام الإسلامية
شوال 1435هـ - اغسطس / آب 2014م
www.islamicsham.org
/ islamicsham1 / islamicsham

العدد: ٢٣

في هذا العدد:

نور الشام ترحب بمشاركاتكم وتزداد ثراءً بأقلامكم.. للتواصل مع إدارة التحرير وإرسال مشاركاتكم
contact@islamicsham.org

افتتاحية العدد:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله تعالى خلق الإنسان واستخلفه في الأرض؛ ليقوم بعبادته وتحقيق الغاية التي خلقها من أجلها أفرادًا وجماعات، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠).

فإن قام الإنسان بهذه الأمانة، فقد حقق الاستخلاف، وقام بما عليه من واجب شرعي، ويختلف هذا الواجب من وقت ومكان لآخر، فقد يكون الواجب في وقت ومكان هو الجهاد في سبيل الله تعالى، ومحاربة الأعداء؛ لرفع راية الإسلام.

وقد يكون في مكان ووقت جهاد الخارجين عن جماعة المسلمين من الفرق المنحرفة، أو الغالية.. وهكذا.

فإن قام المسلمون بواجبهم في رعاية هذه الأمانة، وقاموا بالأوامر والتشريعات، فأن الله تعالى نالوا وعد الله تعالى بالتمكين في الأرض: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ الآيَةَ (النور: ٦٥).

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: «هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ أُمَّتَهُ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ، أَيْ: أَئِمَّةَ النَّاسِ وَالْوُلَاةَ عَلَيْهِمْ، وَبِهِمْ تَصْلُحُ الْبِلَادُ، وَتَخْضَعُ لَهُمُ الْعِبَادُ، وَلَيُبَدِّلَنَّ بَعْدَ خَوْفِهِمْ مِنَ النَّاسِ أَمْنًا وَحُكْمًا فِيهِمْ».

وحصلوا على بركات السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦)، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ (المائدة: ٦٦).

قال في «الظلال» عن قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾:

«فوعد الله المؤكد الوثيق المتحقق الذي لا يتخلف هو أن ينصر من ينصره.. فمن هم هؤلاء الذين ينصرون الله، فيستحقون نصر الله، القوي العزيز الذي لا يهزم من يتولاه؟ إنهم هؤلاء:

«الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ».. فحققنا لهم النصر، وثبتنا لهم الأمر.. «أَقَامُوا الصَّلَاةَ».. فعبدوا الله ووثقوا صلتهم به، واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين.. «وَآتَوُا الزَّكَاةَ».. فأدوا حق المال، وانتصروا على شح النفس، وتطهروا من الحرص، وغلبوا وسوسة الشيطان، وسدوا خلة الجماعة، وكفلوا الضعاف فيها والمحاويج، وحققوا لها صفة الجسم الحي- كما قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»..

«وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ».. فدعوا إلى الخير والصلاح، ودفعوا إليه الناس.. «وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ».. فقاوموا الشر والفساد، وحققوا بهذا وذاك صفة الأمة المسلمة التي لا تبقى على منكر وهي قادرة على تغييره، ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه..

هؤلاء هم الذين ينصرون الله، إذ ينصرون نهجه الذي أراده للناس في الحياة، معتزين بالله وحده دون سواه. وهؤلاء هم الذين يعدهم الله بالنصر على وجه التحقيق واليقين.

فهو النصر القائم على أسبابه ومقتضياته. المشروط بتكاليفه وأعبائه.. والأمر بعد ذلك لله، يصرفه كيف يشاء، فيبدل الهزيمة نصرا، والنصر هزيمة، عند ما تختل القوائم، أو تهمل التكاليف: «وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ»..

إنه النصر الذي يؤدي إلى تحقيق المنهج الإلهي في الحياة. من انتصار الحق والعدل والحرية المتجهة إلى الخير والصلاح. المنظور فيه إلى هذه الغاية التي يتوارى في ظلها الأشخاص والذوات، والمطامع والشهوات..

وهو نصر له سببه. وله ثمنه. وله تكاليفه. وله شروطه. فلا يعطى لأحد جزافا أو محاباة ولا يبقى لأحد لا يحقق غايته ومقتضاه..».

أما إن حصل انحراف عن هذا الطريق، ولم يقم المسلمون بما أمرهم الله به، فهم معرضون لسنة التبديل التي لا تتغير ولا تتخلف، وأعطيت الأمانة لقوم آخرين لامتحانهم وابتلائهم بتلك الأمانة، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

«وَفِي الْآيَةِ تَخْوِيفٌ وَتَنْبِيهٌ لِجَمِيعِ مَنْ كَانَتْ لَهُ وِلَايَةٌ وَإِمَارَةٌ وَرِئَاسَةٌ فَلَا يَعْدِلُ فِي رَعِيَّتِهِ، أَوْ كَانَ عَالِمًا فَلَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ وَلَا يَنْصَحُ النَّاسَ، أَنْ يَذْهَبَهُ وَيَأْتِيَ بِغَيْرِهِ». (تفسير القرطبي).

وحقيقة هذا الاستبدال أنه نقمة وعذاب، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنفال: ٥٣).

لذا فإن الاستبدال يكون بقوم آخرين، مطيعين، قادرين على تحمل أمانة التكليف: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨).

«أَيْ: وَلَكِنْ يَكُونُونَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ لَهُ وَلِأَوَامِرِهِ».

وما دام المسلم في فسحة من أمره، فليحرص على أن يكون هو المكلف بحمل الأمانة، وإلا فإن سنة الاستبدال لا تتخلف ولا تتبدل!

هل تنظيم (الدولة الإسلامية) من الخوارج؟

المكتب العلمي_هيئة الشام الإسلامية

السؤال:

هل يصح وصف تنظيم (الدولة) بالخوارج، مع أن الخوارج هم من يكفر بكبائر الذنوب، وتنظيم (الدولة) لا يقولون بالتكفير بالكبيرة، والخوارج هم من خرج على إمام المسلمين، وليس في سوريا أو العراق إمام للمسلمين، بل فيهما حكام طائفيون معادون لأهل السنة؟
وكيف يكونون خوارج وهم متمسكون بالشرع في أنفسهم، ويجاهدون في العراق والشام، ويطالبون بتحكيم الشريعة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فالخوارج من شر الفرق وأخطرها على أمة الإسلام، ولذلك عُنيت السنة النبوية ببيان صفاتهم أتم بيان؛ حتى لا يلتبس أمرهم على الناس، وهذه الأوصاف منطبقة على تنظيم الدولة أشدّ الانطباق. وليس في النصوص الشرعية ما يدل على أنّ مِن شرط الخوارج أنْ يخرجوا على إمام المسلمين، أو يكفروا بكبائر الذنوب، وما هذه التعريفات والأصول التي ذكرها أهل العلم للخوارج إلا ضوابط تقريبية، ومعالم لوصف ما آلت إليه فرق الخوارج في عصورهم،

وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: الضابط المُعتبر، والقول الفصل في تعريف الخوارج وإلحاق هذا الوصف بطائفة أو فرقة من الفرق هو ما ورد في النصوص الشرعية، وقد فصَّلت السنة النبوية في صفات الخوارج ما لم تُفصِّله في أيِّ فرقة أخرى؛ لعظيم خطرهم، وسرعة الاغترار بهم، ومن أهمها: التّكفير، واستباحة الدماء، وسوء الفهم لنصوص القرآن والسنة، والطَّيش والسَّفه، وحداثة السن، مع الغرور والتعالي.

ثانيًا: ما ذكره كثير من العلماء من أن مذهب الخوارج (تكفير مرتكب الكبيرة)، ليس وصفاً جامعاً لكل «الخوارج»، وليس شرطًا للوصف بالخروج، بل يدخل في الخوارج كل من يكفّر المسلمين بغير حق، ويستحل دماءهم ولو لم يعتقد كفر مرتكبِ الكبائر.

فالذي جاء في الوصف النبوي أنهم (يقتلون أهل الإسلام)، وذكر أهل العلم أن سبب هذا القتل هو: الحكم بالكفر والردة على مخالفيهم.

قال القرطبي في «المفهم»: «وذلك أنهم لما حكموا بكفر مَن خرجوا عليه من المسلمين، استباحوا دماءهم».

وقال ابن تيمية في «الفتاوى»: «الْخَوَارِج دِينُهُمْ الْمُعَظَّمُ: مُفَارَقَةُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتِحْلَالُ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ».

وقال: «فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ مُرْتَدُّونَ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِلُّونَ مِنْ دِمَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَيْسُوا مُرْتَدِّينَ».

وقال ابن عبد البر في «الاستذكار»: «وَهُمْ قَوْمٌ اسْتَحَلُّوا بِمَا تَأَوَّلُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَفَّرُوهُمْ بِالذُّنُوبِ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمُ السَّيْفَ».

والخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يكونوا ممن يعتقد القول بكفر مرتكب الكبائر كالزنا والسرقة وشرب الخمر، وإنّما كفّروا الصحابة بقبول التحكيم، مع أنه ليس بذنب أصلاً، فكفروا عليًا ومعاوية رضي الله عنهما والحكَمين، ومَن رضي بالتَّحكيم، واستحلوا دماءهم، فحكم عليهم الصّحابةُ -رضي الله عنهم- بأنهم الخوارج الذين أخبر عنهم النّبي -صلى الله عليه وسلم- لفعلهم هذا، ولم يسألوهم عن مذهبهم في بقية الذّنوب، وهل يكفّرون بها أم لا.

بل إن «النَّجدات» وهم من رؤوس الخوارج باتفاق أهل العلم، لا يقولون بكفر مرتكب الكبيرة، قال أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين» مبينًا عقيدة الخوارج: «وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، إلا النجدات فإنها لا تقول بذلك».



فالوصف الجامع للخوارج هو «تكفير المسلمين بغير حق واستحلال دمائهم بذلك»، وهذا التكفير له صور كثيرة: كتكفير مرتكب الكبيرة أو بمطلق الذنوب، أو التكفير بما ليس بذنب أصلاً، أو التكفير بالظن والشّبهات والأمور المحتملة، أو بالأمور التي يسوغ فيها الخلاف والاجتهاد، أو دون التّحقق من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

وإذا كان العلماء قد حكموا على من يكفر مرتكب الكبيرة بأنه من الخوارج، فكيف بمن يكفر بالصغائر والأمور الاجتهادية أو بما هو مباح، كالجلوس مع الكفار ومراسلتهم، مثلاً؟

ثالثًا: كذلك لم يرد في النصوص الشرعية ما يدل على اشتراط (الخروج على الإمام المسلم) للوصف بالخروج، بل كل من كان على معتقدهم ومنهجهم فهو من الخوارج سواء خرج على الإمام أم لم يخرج.

و(الخروج على الأئمة) عند الخوارج نتج عن التكفير بغير حق واستباحة دماء المسلمين، فإن وجدَ الخوارج الإمام خرجوا عليه واستباحوا الدماء والأموال، وإن لم يجدوا الإمام استباحوا دماء عامة المسلمين وخيارهم من المجاهدين والعلماء والدعاة.

وتسميتهم بـ «الخوارج» إنما هي لخروجهم عن أحكام الدين ومفارقتهم جماعة المسلمين، كما قال صلى الله عليه وسلم: (سَيَخْرُجُ فِي آخرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «سُموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين».

وقال النووي في «شرح مسلم»: «وسموا خوارج؛ لخروجهم على الجماعة، وقيل: لخروجهم عن طريق الجماعة، وقيل: لقوله صلى الله عليه وسلم: (يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا)».



وحين اختلف الناس في حكم التتار جعلهم ابن تيمية من جنس الخوارج مع أنهم لم يخرجوا على إمام.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: «وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَّةِ قِتَالِ هَؤُلَاءِ التَّتَرِ مِنْ أَيِّ قَبِيلٍ هُوَ، فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، وَلَيْسُوا بُغَاةً عَلَى الْإِمَامِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي طَاعَتِهِ فِي وَقْتٍ ثُمَّ خَالَفُوهُ!.

فَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ (أي ابن تيمية): هَؤُلَاءِ مِنْ جِنْسِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنْهُمَا، وَهَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

وإن أقام الخوارج دولتهم، فهذا لا ينفي عنهم صفة الخروج، فما زال الخوارج يقيمون الدول والإمارات على مَرِّ التاريخ، بل فيهم من ادعى الخلافة، ولم ينزع ذلك صفة الخروج عنهم لمجرد وصولهم للحكم، طالما أنهم يكفرون أهل الإسلام ويستبيحون دماءهم.

رابعًا: الاجتهاد في الطاعة وبذل النفس، والمناداة بتطبيق الشريعة، أو محاربة الطواغيت، لا تعني بالضرورة السلامة من الانحراف، بل هذا ما عُرف به الخوارج طوال تاريخهم.

فقد أخبرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن اجتهاد الخوارج في العبادة حتى لا نغترَّ بهم فقال: (يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ) متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر: «كَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ لشدَّة اجْتِهَادهمْ فِي التِّلَاوَة وَالْعِبَادَة إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ الْمُرَادِ مِنْهُ، وَيَسْتَبِدُّونَ بِرَأْيِهِمْ، وَيَتَنَطَّعُونَ فِي الزُّهْدِ وَالْخُشُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ».

وأخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الخوارج يحسنون القول ويظهرون الدعوة للحق، فقال عنهم: (يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ) رواه أبو داود، وأحمد.

وقال: (يَتَكَلَّمُونَ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لَا تُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ) أخرجه أحمد والبزار.

قال السندي في «حاشيته على سنن النسائي»: «أَي يَتَكَلَّمُونَ بِبَعْض الْأَقْوَال الَّتِي هِيَ من خِيَار أَقْوَال النَّاس فِي الظَّاهِر، مثل: إن الحكم إلا لله، ونظائره، كدعائهم إِلَى كتاب الله».

وقد اجتمع رؤوس الخوارج في عهد علي بن أبي طالب، وتعاهدوا على حكم القرآن، وطلب الحق وإنكار الظلم، وجهاد الظالمين وعدم الركون إلى الدنيا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قاموا إلى قتال الصحابة رضي الله عنهم!!

خامسًا: إن تنظيم (الدولة) قد وقع في العديد من المخالفات -وهي منشورة من أقوالهم، ومتواترة من أفعالهم- التي تقتضي الحكم عليهم بأنهم خوارج منحرفون عن المنهج النبوي، وهي:

١- الحكم على بلاد المسلمين بأنها بلاد كفرٍ وردة، وإيجاب الهجرة منها إلى مناطق سيطرتهم ونفوذهم.

٢- الحكم على من خالفهم بالكفر والردة، ووصفهم بالصحوات، ورميهم بالخيانة والعمالة للكفار، بالشُّبه، وبما ليس كفرًا أصلاً، كالتعامل مع الحكومات والأنظمة الأخرى واللقاء بمسؤوليها.

٣- استحلالهم قتال من خالفهم في منهجهم، أو رفض الخضوع لدولتهم الموهومة، فأعملوا في المسلمين خطفًا، وغدرًا، وسجنًا، وقتلًا، وتعذيبًا، وأرسلوا مفخخاتهم لمقرات المجاهدي، فقتلوا من رؤوس الثوار من المجاهدين، والدعاة، والإعلاميين، والنشطاء ما لم يستطع النظامان الطائفيان في العراق وسوريا فعله، وقاتلوا المسلمين بما لم يقاتلوا به الأعداء.
وجميع ذلك يصدق قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ) متفق عليه.

٤- استحلال أخذ أموال المسلمين بحجة قتال الجماعات المنحرفة، ومصادرتها دون وجه حق، واحتكار موارد الدخل العامة من آبار نفط وصوامع غلال وغيرها، والتصرف فيها كتصرف الحاكم المتمكن.

٥- الخروج عن جماعة المسلمين، وحصر الحق في منهجهم، والحكم على جميع من يخالفهم في الفكر أو المشروع بالعداء للدين، وآخر ذلك ادعاؤهم «الخلافة»، وإيجاب بيعتهم على جميع المسلمين.

٦- ليس فيهم علماء معروفون مشهود لهم عند المسلمين، كما قال ابن عباس رضي الله عنه لأسلافهم من الخوارج: « أتيتُكُم من عند صحَابَةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، مِنَ المهاجِرينَ والأنصارِ... وفيهِم أُنزِلَ، ولَيسَ فيكُم منهُم أحَدٌ» أخرجه الحاكم.

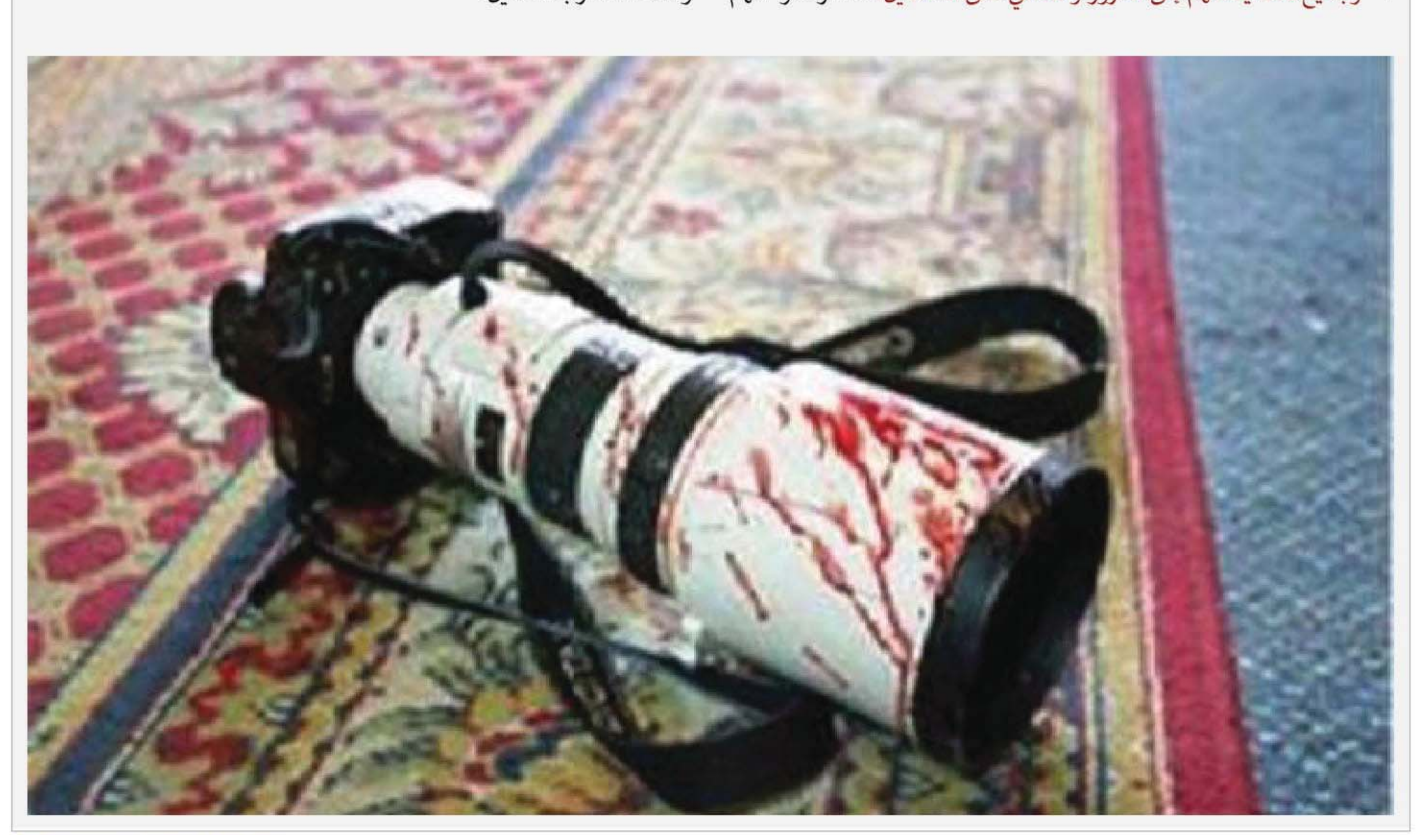
فغالبهم من صغار السنِّ الذين تغلب عليهم الخِفَّة والاستعجال والحماس، وقصر النظر والإدراك، مع ضيق الأفق وعدم البصيرة، فهم كما قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: (حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ)
وقد أثر غياب أهل العلم والحكمة على تصرفاتهم فوقعوا في السفاهة والطيش، وعدم النظر لمآلات الأمور وعواقبها، وما تجره على المسلمين من ويلات ودمار، بزعم الصدع بكلمة الحق أو التوكل على الله.

٧- وجميع ذلك يدفعهم إلى الغرور والتَّعالي على المسلمين، فقد زعموا أنهم وحدهم المجاهدون في سبيل الله، والعارفون لسنن الله في الجهاد؛ لذا فإنهم يُكثرون من التفاخر بما قدموه وما فعلوه!!
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخوارج: (إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نُفُوسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ) رواه أحمد.

وهذا الغرور هو الذي يدفعهم للتطاول على أهل العلم والحكمة، وعدم الأخذ بكلامهم، فيدعون العلم والفهم، ويواجهون الأحداث الجسام، بلا تجربة ولا رَوية، ويرفضون التحاكم لمحاكم مستقلة فيما شجر بينهم وبين الفصائل الأخرى.
كما أنهم ناصروا النظام المعتدي ضد المجاهدين في القتال والحصار، وأظهروا الفرح بانكسار المجاهدين أمام النظام، واستيلائه على مقراتهم، حتى لم يعد بعيدا مايظن من دخول أعداء الإسلام واستخبارات بعض الدول في صفوفهم، يضربون بهم المجاهدين ويحققون ما عجزوا عن تحقيقه بالحرب المباشرة.

فاجتمع في تنظيم (الدولة) من الشر ما لم يجتمع في غيره من الخوارج من قبل، من الاجتماع على الباطل، والامتناع من الانقياد للحق والمحاكم الشرعية، والكذب، والغدر، والخيانة، ونقض العهود، وممالأة أعداء الإسلام، حتى صاروا أخطر على المسلمين والمجاهدين من النظام النصيري الطائفي، وفاقوا الخوارج الأولين شرًا وسوءًا وانحرافًا.

وحُكمنا على تنظيم الدولة بأنه من الخوارج، لا يعني بالضرورة الحكم على كل فرد من أفراده بذلك؛ إذ قد يكون فيهم من هو جاهل بحقيقة أقوالهم وحالهم أو مغرر به، إلا أنهم جميعا من حيث حكم التعامل معهم سواء، فعلينا دفع شرورهم، وحسابهم على الله تعالى.
نسأل الله تعالى، أن يهدي ضالهم، ويقصم ظالمهم، وأن يكفي المسلمين شرورهم.
والحمد لله رب العالمين.



آراء وتحليـــــلات

تأملات داخل النفق

أبو عبد الله عثمان



استخدام السلاح والقوة في وجه الغلاة يكون في حالات معينة ومحدودة، كرد صيال أو ردع.. ويقرره أهل الشورى في كل منطقة مع مراعاة أمرين:

الأول: أن الذين ينفذون قرار أهل الشورى هم القوى مجتمعة وليس مجموعات منفردة.

الأمر الثاني: أن يملك أهلُ الشورى قرار إيقاف استخدام السلاح في حال تحقق المراد من دفع الصيال أو الردع..

إن أشد ما نحتاجه في مواجهة الغلو هو المواجهة العلمية والتوعية المجتمعية الصحيحة والتي تقوم على بناء موانع علمية راسخة في نفوس الناس تحميهم من مداخل الغلو..

نعم الغلو موجود ولقد كانت له آثار سيئة كبيرة، لكن مواجهته لا تكون بالفوضى ولا بمجرد الضجيج، ومن غير المقبول أن لا تجد حتى اليوم مواجهة علمية شرعية تبني وليس فقط تهاجم وترد وتدافع ولا تدفعها إلا المآسي، فنحن نرى كيف يُصنع الغلو في فكر الشاب خلال أسبوع أو أسبوعين بينما يبقى الشاب نفسه أحياناً سنة أو أكثر ولم يتعلم خلال كل هذه المدة الأصول والقواعد التي تحميه وتمنعه من الانجراف مع ذلك الغلو، هو ربما يتعلم في أحسن الأحوال القواعد التي تحميه من الانجراف مع تيارات القرون الماضية بدل إعداده ليواجه مختلف التيارات التي تحيط به اليوم من كل اتجاه.

لا يعقل أن نبقى هكذا مبعثرين في كل شيء، فلا مشروعاً عسكريًا موحدًا ولا قرارًا ميدانيًا موحدًا ولا مشروعًا سياسيًا موحدًا.. وتجرفنا الظروف وتوقفنا المطبات وتحيرنا المواقف وتتعدد بل وتتناقض تصوراتنا «الرسمية» عما يلاصقنا من حالات ووقائع..!

إن السياسة كما تكون في التعامل مع الدول هي السياسة أيضًا في التعامل مع الفصائل الأخرى على اختلافهم، وكما نستوعب أو ندعي أننا نستوعب ونحتوي من يحمل الفكر المضاد للدين..

كذلك فإنه يمكن أن نضبط موقفنا وفعلنا مع أصحاب الفكر المغالي في الدين، وإن كنا نعتبر أن الثاني يوغل في الدماء فإن علينا أن لا نبرئ الأول فقد يكون ذلك الأول مشروعًا ليوغل أكثر وأكثر في الدماء، لكن بعد حين.. وما السيسي وأمثاله عنا ببعيد..

ربما قد نستمر في هذه الحالة ما شاء الله إن لم نتدارك ويكون لنا مشروع موحد مشترك نتفق عليه، ويدخل في هذا المشروع أغلب مفاصل الثورة ويكون له عمله العسكري والسياسي والخدمي، ويكون قادرًا على توظيف الأحداث في مصلحة الثورة والبلد لا في المصالح الخاصة، ويدير التوازنات على أساس ذلك، ويحاول أن يستفيد من الإنجازات والمواقف ويبني على المتغيرات منطلِقاً من الثوابت..

يقولون: ظهر البغدادي كما تحديتم، فهلا بايعتم؟

د. عماد الدين خيتي

يقولون: ظهر البغدادي كما تحديتم، فهلا بايعتم؟
ونقول: الظهور المعتبر شرعًا والذي وقع عليه التحدي: قبل طلب البيعة، حتى يُعرف للناس ويُعلم، ثم تكون البيعة عن معرفة وقبول!

- الظهور المقصود: ظهور الحاكم المتمكن في حياة الناس ومرافق الدولة، وليس الظهور المحدود المصطنع وقتًا وكيفيةً.
- الظهور لشخص البغدادي ومعرفة اسمه وشخصه وحده دون بقية أركان دولته بالكامل ليس له أي معنى، فالدولة لا تقوم على فرد أو أفراد، بل على كامل جهاز الدولة.
- هذا الظهور شرط من الشروط لمعرفة شخص البغدادي، والأهم من ذلك بقية الشروط ومنها:

معرفة (الحال)، فما حال هذا الرجل؟ ومن زكاه من أهل العلم والمجاهدين؟ فكم شخص معروف باسمه ونسبه قال عنه أهل العلم: مجهول الحال، فسقط!

روى مسلم في صحيحه عن محمد بن سيرين رحمه الله أنه قال: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ».

وقال: «لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنْ الْإِسْنَادِ فَلَمَّا وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ قَالُوا سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ».

لذلك لا تقبل إلا رواية المعلوم عينًا وحالاً، فكيف بخلافة عالمية وعلى منهاج النبوة؟ والله أعلم

هل أخطأنا تقدير قوة تنظيم الدولة الإسلامية؟

أحمد أبا زيد

بعد انطلاق المواجهة بين كتائب من الجيش الحر وفصائل إسلاميّة، وبين تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام مطلع العام الجاري، وانحسار نفوذ التنظيم عن مناطق واسعة من سوريا، وتمركزه في قواعد؛ ثابته كمدينة الرقة والتي اتخذها التنظيم مركزًا له، ومدن ريف حلب الشرقي (الباب، جرابلس، منبج) والتي اعتبرها التنظيم خط دفاع أول عن بقاءه وجوده في سوريا، كتبت في هذه الزاوية بتاريخ ٣١ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤م مقالاً بعنوان «الدولة الإسلامية في العراق والشام باقية وتزول».

لخصت في ذلك المقال أبرز الأسباب التي تحرم تنظيم الدولة من الاستمرار والبقاء على المدى الطويل وفي مقدمتها مسائل تتعلق بالإلغاء والتكفير، العلاقة السيئة مع المجتمعات المحلية التي يوجد ويستقر فيها... إلخ.

أما أهم مقومات ومحددات بقائه التي أوردتها فتتلخص في مستوى إجرامه عبر العمليات الانتحارية، والتي تشكل رعبا للخصم تجعله يتجنب مواجهته، وعدم وجود استراتيجية واضحة متفق عليها من القوى التي تواجه التنظيم.

اليوم، وبعد الإنجازات التي حققها تنظيم الدولة وسيطرته على مدن ومواقع هامة في العراق وسوريًا، وجدنا انجرافًا وتهافتًا من الخبراء والمختصين في الحركات الجهاديّة للتبشير بالزمن «الداعشي» والدولة «الداعشية» التي انتقلت من الحيز الافتراضي إلى الحيز الواقعي.

وسأحاول في هذا المقال الوقوف على الظروف الموضوعية والذاتية، التي وفرت لتنظيم الدولة انطلاقة جديدة استغلها لإعادة ما خسره من مواقع و«هيبة»، ومن ثم فرض نفوذه كفاعل يمتلك قدرة نسبية على التأثير في تفاعلات الإقليم، واستراتيجيات دوله، ومن أبرزها:

أولاً: غياب الإجماع على قتال تنظيم الدولة: كما هو معروف، فإن من بدأ المواجهة ضد التنظيم في سوريا هو جيش المجاهدين، لحقته جبهة ثوار سوريا، وفصائل من الجبهة الإسلامية تضررت من تمدد تنظيم الدولة ونفوذه، وأخيرًا جبهة النصرة. شكلت هذه الفصائل، وبدون أن تخطط أو تتأطر في جسم واحد، حلفًا عسكريًا في مواجهة التنظيم، واستطاعت طرده من إدلب، وريف حماة الشمالي، ومدينة حلب وأريافها باستثناء الريف الشرقي، ولاحقًا من دير الزور. لكن هذه الكتائب التي اشتركت في العنوان العام للمواجهة، اختلفت في التفاصيل، وتباينت في الرؤية، وهو ما منح التنظيم فرصة للملمة قواته المندحرة في مدينة الرقة ليتخذها مقرًا رئيسا له.

ففي الوقت الذي تبنى جيش المجاهدين، وجبهة ثوار سوريا وكتائب من الجيش الحر الحل الاستئصالي، والذي يقتضي إكمال المعركة حتى نهايتها وطرد التنظيم بشكل نهائي من سوريا، تبنت فصائل الجبهة الإسلامية ولاسيما حركة أحرار الشام موقفًا ملتبسًا مبهماً، فانخراطها في المواجهة التي انطلقت ٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤، لم يكن هدفه استئصال التنظيم وطرده نهائيًا، بل تحجيمه وإضعافه وإجباره على قبول المبادرات المطروحة، كمبادرة الشيخ المحيسني، والتي تقضي بتشكيل محكمة شرعية مستقلة لفض الخلافات.

وعلى الرغم من رفض تنظيم الدولة لهذه المبادرات، فإن الفصائل الإسلامية وفي مقدمتها أحرار الشام وجبهة النصرة، لم تطور خطابها واستراتيجيتها القتالية تجاه التنظيم، ومالت للمهادنة والقبول بما تحقق لجهة تحجيم وتقزيم التنظيم.

المفارقة الأولى هنا، أن الجبهة الإسلامية رفضت اتخاذ موقف واضح من التنظيم وقتاله على الرغم من الثمن الباهظ الذي دفعته بعض فصائلها لاسيما لواء التوحيد الذي عانى الأمرّين في ريف حلب الشمالي جراء الهجمات الانتحارية للتنظيم. والمفارقة الثانية، أن الجبهة الإسلامية لم تتخذ موقفا واضحا من تنظيم الدولة حتى مواجهات دير الزور في أواخر شهر آذار/ مارس الماضي. وللأسف ربطت الجبهة خطابها وطريقة تعاملها مع تنظيم الدولة بموقف جبهة النصرة، التي تأخرت بدورها في إعلان عدائها الكامل والتام للتنظيم. وكنتيجة لذلك، ضيعت كتائب المعارضة على اختلاف تصنيفاتها فرصة هامة للقضاء على التنظيم وطرده بشكل كامل من سوريا.

ثانيًا: الانشغال العسكري عن قتال التنظيم: يعود ذلك إلى أسباب عدة وفي مقدمتها تصعيد قوات النظام والميليشيات الحليفة له هجماتها العسكرية على مناطق حيوية تسيطر عليه المعارضة، ولاسيما مدينة حلب وريفها؛ ما أدى إلى انشغال قوات المعارضة في سد الثغرات التي أوجدتها المواجهة مع تنظيم الدولة بغية تحصين مواقعها، والصمود أمام محاولات النظام المتكررة فرض حصار مطبق على المدينة. وساهم تراجع تدفق الإمدادات الخارجية في التأثير على فاعلية بعض القوى التي تصدت لمحاربة التنظيم في ريف حلب الشمالي والشرقي، الأمر الذي جعل مدينة الرقة، المركز الرئيس للتنظيم في سوريا، مستقرة وغير مهددة، بشكل منح التنظيم الفرصة لاستعادة زمام المبادرة والهجوم على مواقع المعارضة واستنزاف قدراتها خارج مناطق وجوده.

من ناحية أخرى، انشغلت كتائب دير الزور بمسائل ثانوية كتنظيم استثمار النفط، والعوائد الاقتصادية، عن تهديدات التنظيم المتكررة للمدينة، الأمر الذي وضعها في موقف حرج جدا بعد أن نجح التنظيم في السيطرة على غالبية أرياف دير الزور، وفرض حصارًا مطبقًا على المدينة. وبالطبع ينسحب الموقف في حلب ودير الزور على مناطق أخرى متعددة في سوريا.

ثالثًا: تواطؤ نظامي الأسد والمالكي مع التنظيم ضد الثوار: لا نستحضر هنا نظرية المؤامرة، والخطاب التبريري الذي يقول بأن تنظيم الدولة هو صنعية أسدية أو إيرانية، بل نستحضر تقاطع الأهداف والمصالح بين كل من تنظيم الدولة والنظام السوري وحكومة المالكي، فاستمرار تنظيم الدولة وازدياد نفوذه كان في قائمة أولويات الاستراتيجية العسكرية لنظام دمشق؛ لاستثماره دعائيا وإعلاميا والدلالة على أن «بديله» هو «التطرف» و«الإرهاب» و«الفوضى». انطلاقًا من ذلك، تجنب نظام الأسد ولفترات طويلة استهداف تنظيم الدولة أو الاشتباك معه، بل على العكس ساعد النظام تنظيم الدولة على الانتصار في مواجهات عديدة مع فصائل المعارضة، كما جرى في مدينة الباب بريف حلب، وفي دير الزور وغيرها. وبالتالي وجد الثوار أنفسهم في مواجهة عدوين يمتلكان القوة العسكرية والإمكانات.

أما حكومة المالكيّ، فبعد اندلاع الانتفاضة السلمية والمسلحة في العراق، عملت ما أمكن، لإلصاق تهمة الإرهاب والتطرف بالحراك الاحتجاجي المطالب باستقالة المالكي واستعادة الحقوق المسلوبة، وإلغاء سياسة التهميش. وبدأ التواطؤ بين حكومة المالكيّ وتنظيم الدولة منذ منتصف عام ٢٠١٣، عندما سهل المالكي هروب مئات القيادات والعناصر الفاعلة في التنظيم، وبالطبع وجدت هذه العناصر الهاربة من سوريا «قاعدة» يمكن الاستقرار فيها لإعادة فاعلية ونشاط التنظيم، واستمر هذا التواطؤ باستهداف مركز لمواقع التنظيم الحدودية لدفع مقاتليه للانتقال نحو سوريا والاستقرار فيها. وترجح تقارير استخباراتية عدة، أن زعيم تنظيم الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي قد نقل مقر إقامته إلى مدينة الرقة، واتخذها عاصمة لدولته الإسلامية. وبناء عليه، أصبحت خطط التنظيم تصاغ وتبدأ من سوريا؛ بمعنى أنه أصبح تنظيمًا جهاديًا عراقيًا، لكن مركزه ورأسه في سوريا.

رابعًا: ثورة العشائر في العراق: جاءت ثورة العشائر المسلحة في الأنبار والفلوجة، والمدن العراقية الأخرى لتكون طوق نجاة لإعادة تأهيل التنظيم وانخراطه ضمن العمل المسلح ضد حكومة المالكي. حرص قادة الحراك الاحتجاجي في العراق على نفيّ أي علاقة وارتباط بين حراكهم السلمي ولاحقًا المسلح، وبين تنظيم الدولة. وفي الوقت الذي اشتدت واتسعت المواجهات في الأشهر الأخيرة الماضية، بين عشائر العراق والجيش العراقي، دخل تنظيم الدولة إلى المناطق الملتهبة وطرح نفسه كقوة عسكرية إلى جانب الثوار العراقيين. قوبل وجود تنظيم الدولة في صفوف الثوار المسلحين بالرفض في البداية، إلا أنه وبعد فترة زمنية قصيرة، ونتيجة للقصف الجوي والمدفعي العنيف، غض الثوار الطرف عن وجود عناصر التنظيم. وفي الحقيقة، نهج التنظيم مع الثوار العراقيين سياسة مغايرة عن تلك التي اتبعها في سوريا، ففي البداية لم يلجأ إلى فرض البيعة والولاء، وركز على الجوانب والأهداف المشتركة في المواجهة بدون التنطع بشعاراته الكبرى كإقامة الدولة الإسلامية وفرض الحدود... إلخ. وعلى خلاف ما يروج عن قوة التنظيم، فإن مقاتليه هزموا في أكثر من موقعة أمام قوات المالكي، وكان آخرها في سامراء، ذلك أن التنظيم لم يعتد على المواجهة المباشرة والطويلة خلال السنوات الأخيرة، بل ركز على السيارات المفخخة والانتحاريين والانغماسيين. وعندما بدأت المعركة الأخيرة السريعة في الموصل، حافظ تنظيم الدولة على هذا الدور، إذ طلب منه تجهيز نحو ١٥ انتحاريا لاقتحام الموصل، في حين تتولى باقي الفصائل المشاركة عملية الهجوم العسكري، وهو ما قبله تنظيم الدولة لكنه فرض شروطه بأن تكون رايته هي الراية الوحيدة في حال جرى اقتحام الموصل. وبالفعل نفذ التنظيم نحو ١٠ عمليات انتحارية قبل اقتحام الموصل، محدثًا خللاً أمنيًا، أسهم في انسحاب وهروب معظم فصائل الجيش العراقي الموجودة هناك، وما أعطى العشائر والفصائل الأخرى اندفاعة للسيطرة على مدن أخرى في تكريت وصلاح الدين.

وهنا نؤكد القول بأن التنظيم ورغم حضوره المهم في العمليات الأخيرة، فإن دوره محدود بحكم قلة عدد مقاتليه (ترجح كثير من المصادر أن عدد قوات التنظيم في العراق لا تتجاوز ١٥ ألفًا) مقابل المساحات الواسعة.

في الخاتمة، منحت الظروف السابقة، ولاسيما بعد أحداث العراق تنظيم الدولة اندفاعة كبيرة ليتمدد، ويتوسع نفوذه، ويلغي الحواجز والعوائق في الاتصال الجغرافي بين فرعه السوري والعراقي. لكن وعلى الرغم من ذلك، فإن تنظيم الدولة لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال مشروع سلطة مستقبلية، فعدا عن وحشيته، ونهجه المنفر للحاضنة الاجتماعية، فإن الدول الإقليمية والقوى الدولية لا تقبل بأن يسيطر التنظيم على محور جيوسياسي هام (سوريا والعراق)؛ لأن ذلك يشكل تهديدًا على الإقليم والعالم.

تأسيسًا على ما سبق، فإن الفصائل العسكرية في العراق وسوريا مطالبة بالتمايز عن التنظيم، وعزله، وتحجيمه كونه يقاتل لغايات لا تتطابق والقضايا العادلة التي من أجلها انطلقت الثورات.



عقيدة المسلم (١١)

حقوق الصحابة وما يجب نحوهم

الشيخ فايز الصلاح

الصحابي هو: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً ومات على ذلك.

فضل الصحابة:

الصحابة هم خير القرون، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فمحبتهم واجبة على كل مسلم، وهي دين وإيمان وقربى إلى الرحمن، وبغضهم كفر وطغيان.

وقد ذكرهم الله في الكتب السابقة وبين فضلهم للأمم من قبل بعثة الرسول وزكاهم في التوراة والإنجيل والقرآن وجعلهم غيظا للكفار، قال تعالى:﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩).

فهم حملة هذا الدين، فالطعن فيهم طعن في الدين كله لأنه وصلنا عن طريقهم بعد أن تلقوه غضًا طريًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ونقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص، ونشروا الدين في كافة ربوع الأرض في أقل من ربع قرن وفتح الله على أيديهم بلاد الدنيا فدخل الناس في دين الله أفواجًا.

وقد دل الكتاب والسنة على وجوب موالاة الصحابة ومحبتهم:

وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم:

أثنى الله تعالى على الصحابة ورضي عنهم ووعدهم الحسنى. كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠). وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح: ١٨).

فهذه الآيات وغيرها قد دلت على فضل الصحابة والثناء عليهم من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكل من حصل على شرف الصحبة.

وقد أثنى عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا) رواه مسلم. وقد جاءت أحاديث بعضها عامة في فضل جميع الصحابة وبعضها في فضل أهل بدر، وبعضها في أفراد بخصوصهم.

فالواجب على المسلمين تطبيق هذه النصوص وتولي الصحابة جميعًا، ومحبتهم والترضي عنهم، وذكرهم بكل جميل، والاقتداء بهم والسير على منهجهم.

حكم سب الصحابة أو التنقُّص منهم:

أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم هم الصفوة المختارة من هذه الأمة بعد نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فهم السابقون إلى الإسلام وهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأبلوا بلاءً حسنًا في الذود عن حياض الإسلام حتى مكن الله لهذا الدين في الأرض على أيديهم. فمن تنقَّصهم أو سبهم أو نال من أحد منهم فهو من شر الخليقة؛ لأن عمله هذا اعتداء على الدين كله. ومن كفرهم أو اعتقد ردتهم فهو أولى بالكفر والردة وإنه مهما عمل أحدٌ بعدهم من عمل فإنه لن يبلغ شيئًا من فضلهم. فقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) رواه البخاري ومسلم. فقد دل الحديث على تحريم سب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والتأكيد على أنه لن يبلغ أحد مبلغهم مهما قدم من عمل.

أفضل الصحابة:

يتفاضل الصحابة رضي الله عنهم في المنزلة والرتبة، فأفضلهم السابقون الأولون في الإسلام من المهاجرين ثم الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل غزوة الأحزاب ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا.

الخلفاء الراشدون

الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (الفاروق)، وذو النورين عثمان بن عفان، وأبو السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم.

وهم المهديون الذين أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم باتباعهم، والتمسك بهديهم. كما ثبت ذلك من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه الذي جاء فيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) رواه أبو داود، وأحمد.

وأجمع أهل السنة والجماعة على أن التفضيل بين الخلفاء بحسب ترتيبهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

العشرة المبشرون بالجنة

وهم أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي بن أبي طالب، ثم عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام حواريّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين.

ومن الأحاديث العامة في فضلهم ما رواه سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ف الْجَنَّةِ. وَلَوْ شِئْتَ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ. قَالَ: فَقَالُوا مَنْ هُوَ: فَسَكَتَ، قَالَ: فَقَالُوا : مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ) رواه أبو داود، والترمذي، وأحمد.

وقد بشر النبي -صلى الله عليه وسلم- آخرين غير هؤلاء العشرة بالجنة، مثل عبد الله بن مسعود، وبلال بن رباح، وعكاشة بن محصن، وجعفر بن أبي طالب، وغيرهم كثير.

وأهل السنة والجماعة ينصون على من ورد النص من المعصوم فيه باسمه فيشهدون له بالجنة لشهادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم له، ومن عداهم يرجون لهم الخير لوعد

الله لهم جميعًا بالجنة كما قال تعالى بعد ذكر الصحابة وبيان فضل بعضهم على بعض ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (النساء: ٩٥).
والحسنى هي الجنة.
كما أن مذهب أهل السنة في عموم المسلمين عدم القطع لأحد منهم بجنة أو نار، وإنما يرجون للمحسنين الثواب ويخافون على المسيئين العقاب مع القطع لمن مات على التوحيد بعدم تخليده في النار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ١١٦).
متابعة الصحابة وفهم الدين بفهمهم عصمة ونجاة. فهم رضوان الله عليهم قد عاصروا التنزيل وشهدوا التأويل وأخذوا عن نبيهم الأحكام بلا واسطة مع سلامة النية بشهادة رب البرية ففهمهم لنصوص الكتاب والسنة خير فهم ومنهجهم أوثق منهج ومتابعتهم واجبة والهداية مرهونة بالاقتداء بهم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٧)، وقال صلى الله عليه وسلم: (وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ، إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي) رواه الترمذي، وله روايات أخرى عند أصحاب السنن.
فكل من أراد النجاة والسلامة في المسائل العلمية والأحكام العملية فعليه بالاحتكام إلى نصوص الكتاب والسنة وفهمها كما فهمها الصدر الأول من الصحابة رضوان الله عليهم والعمل بمقتضى ذلك والموفق من وفقه الله لسلوك سبيلهم للفوز برضى الله قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠). الآية.

صلاة المسلم (١)

الأذان والإقامة

عماد الدين خيتي

شرع الله تعالى الأذان والإقامة قبل أداء الصلاة تمهيدًا لها، وتتضح أحكامهما من خلال الفقرات التالية:

تعريف الأذان:
الإعلام بدخول وقت الصلاة بذكر مخصوص.

تعريف الإقامة:
الإعلام بالقيام للصلاة بذكر مخصوص.

حكم الأذان والإقامة:

للمقيمين في البلد:
فرضُ كِفَاية؛ إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين؛ لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- لمالك بن الحُويرث رَضِيَ اللهُ عنه: (فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ) رواه البخاري، ومسلم.

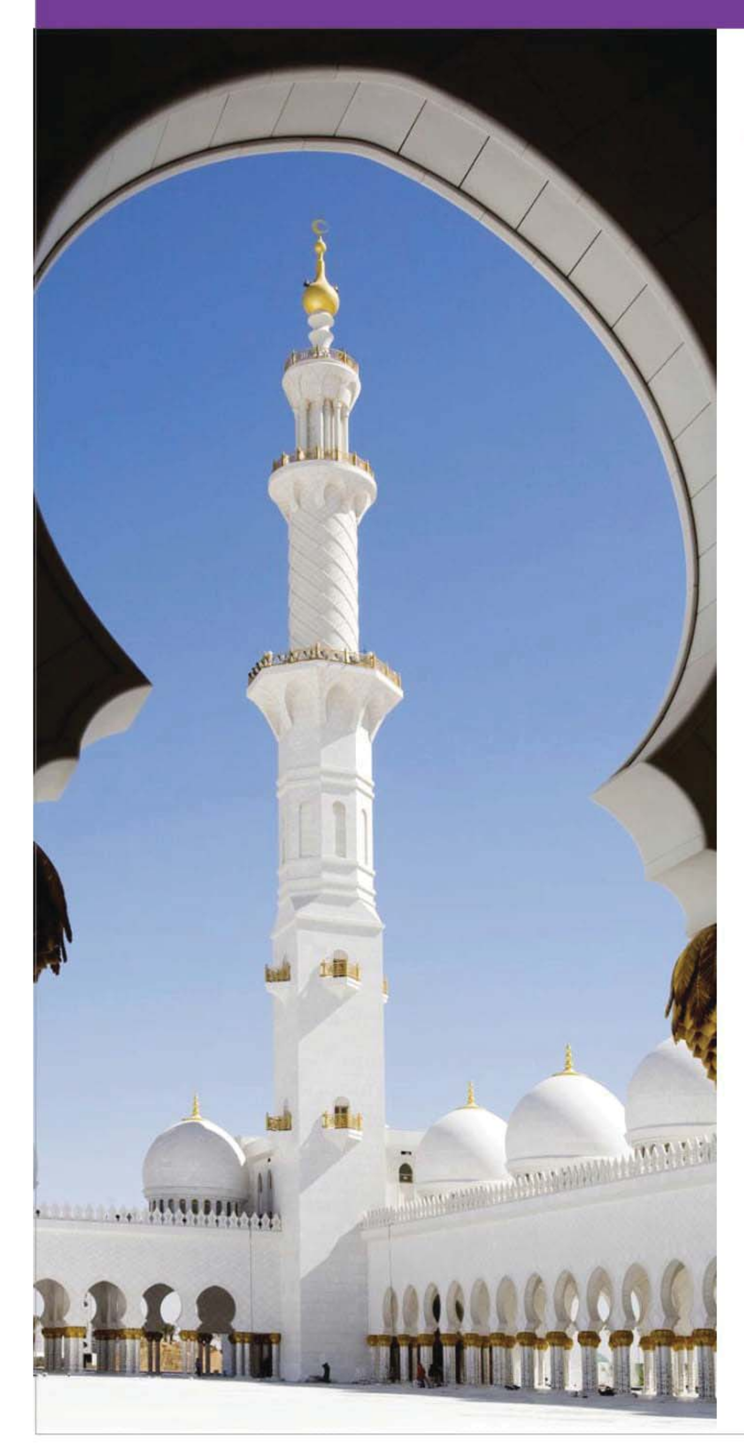
للمنفرد والمسافر:
مندوب، لحديث أَبي سَعِيد الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللهُ عنهُ: (فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه البخاري.

صفة الأذان والإقامة:
للأذان والإقامة صيغ عديدة، ومن أشهرها:

صفة الأذان:
الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر (أربع مرات).
أشهد ألا إله إلا الله، أشهد ألا إله إلا الله (مرتين).
أشهد أن محمد رسول الله، أشهد أن محمد رسول الله (مرتين).
حي على الصلاة، حي على الصلاة (مرتين).
حي على الفلاح، حي على الفلاح (مرتين).
الله أكبر، الله أكبر (مرتين).
لا إله إلا الله (مرة واحدة).

التثويب:
يشرع للمؤذن التثويب، وهو أن يقول في أذان الفجر بعد الحيعلتين (قول المؤذن: حي على الصلاة، حي على الفلاح).
الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم (مرتين).

صفة الإقامة:
الله أكبر، الله أكبر (مرتين).
أشهد ألا إله إلا الله (مرة واحدة).
أشهد أن محمد رسول الله (مرة واحدة).
حي على الصلاة (مرة واحدة).
حي على الفلاح (مرة واحدة).
قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة (مرتين).



الله أكبر، الله أكبر (مرتين).
لا إله إلا الله (مرة واحدة).

الذكر عند الأذان:

يستحب لمن يسمع المؤذن
١ـ أن يقول مثل ما يقول المؤذن، فإذا قال المؤذن: الله أكبر، قال السامع: الله أكبر، وإذا قال المؤذن: أشهد ألا إله إلا الله، قال السامع: أشهد ألا إله إلا الله، وهكذا..

إلا في (الحيعلتين) فإنه يقول عقب كل جملة: لا حول ولا قوة إلا بالله.
٢ـ إذا قال المؤذِّن في صلاة الصُّبْح: (الصَّلاة خير من النوم) فإن السَّامع يقول مثل ما يقول: (الصَّلاةُ خير من النوم)، ولا دليل على قول (صدقت وبررت).
٣ـ بعد الأذان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو: (اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِه الدَّعْوَة التَّامَّة، وَالصَّلَاة الْقَائِمَة، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ) رواه البخاري.
(الوسيلة): درجه عالية في الجنة و (الدعوة التامة) أي الأذان لاشتماله على شهادة الإخلاص لله تعالى، والإيمان بنبيه صلى الله عليه وسلم، (الفضيلة): إظهار فضيلته على الخلق جميعًا، (مقاماً محمودًا): شفاعته في بدء الخلائق، وهي الشفاعة الكبرى.
كل من سمع المؤذن يُستحب له أن يردد ما يقوله، **ويستثنى:** المصلي، ومن هو في الخلاء. فإذا فرغ من ذلك تابع المؤذن.
وإذا سمعه وهو في قراءة أو ذكر أو درس أو نحو ذلك، قطع الدرس أو الذكر، وتابع المؤذن.

الذكر بعد الإقامة:

يستحب بعد الإقامة ما يُستحب من الأذكار السابقة.

صفات المؤذن:

الصفات الواجبة:
١ـ الإسلام.
٢ـ الذّكورة. أما أذان المرأة للنساء فجائز، كما سيأتي.
٣ـ العقل.
٤ـ التَّمييز، ولا يشترط البلوغ على الأرجح من قولي أهل العلم.

الصفات المستحبة:

١ـ الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر.
٢ـ العدالة؛ لأنّه أمين على المواقيت.
٣ـ حسن الصّوت، لقول النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- لعبد اللّه بن زيد: (فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ) رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد.
مع كراهة التّمطيط والتّطريب في جمل الأذان.
٤ـ جعل السَّبابتين في الأذنين حال الأذان؛ لحديث عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (رَأَيْتُ بِلَالًا يُؤَذِّنُ، وَيَدُورُ وَأَتَتَبَّعُ فَاهُ هَاهُنَا، وَأُصْبُعَاهُ فِي أُذُنَيْهِ...) رواه البخاري، ومسلم.
(وَأَتَتَبَّعُ فَاهُ هَاهُنَا): أي أن أبا جحيفة أخذ يتتبّع فَمَ بلال في حال الأذان وعند الحيعلتين، ويلحظ حركاته.
٥ـ الأذان قائماً، ولا يؤذّن قاعداً إلاّ لعذر. من مرض، أو عجز مثلاً.
٦ـ العلم بأوقات الصّلاة، إلا إن كان هناك من يُعلمه بدخول الوقت.
٧ـ أن يكون المؤذّن هو من يقيم.

مسائل متفرقة تتعلق بالأذان والإقامة:

١ـ الأذان يكون في أول الوقت، لكن يجوز في أذان الفجر أن يؤذن له مرتان: الأول قبل الوقت للتنبيه على قُرب الفجر، والثاني عند الفجر.
ومثله أذان الجمعة الأول الذي زَادَهُ عثمان بمشورةٍ من الصحابة ـرضي الله عنهمـ لتنبيه الناس إلى اقتراب وقت صلاة الجمعة.
٢ـ الأذان والإقامة للصلوات الفائتة: من نامَ عن صلاة أو نَسيها فإنه يُشرع له أن يؤذن لها ويقيم حينما يريد صلاتها، ففي القصة التي نام فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ولم يستيقظوا حتى طلعت الشمس، أنه قال: (يَا بِلَالُ قُمْ فَأَذِّنْ بِالنَّاسِ بِالصَّلَاةِ) رواه البخاري، ومسلم. فإن تعددت الفوائت: استحب للمصلي أن يؤذن أذانًا واحدًا ويقيمَ لكل صلاة إقامة.
عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مَسعُود رَضِيَ اللهُ عنهُ: (إِنَّ الْمُشْرِكِينَ شَغَلُوا النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَأَمَرَ بِلالاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعِشَاءَ) رواه النسائي، وأحمد.
٣ـ أذان النساء وإقامتهن:
الراجح: أنَّه للنساء أذان وإقامة خاصة بهن، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (أَنَّهَا كَانَتْ تُؤَذِّنُ وَتُقِيمُ وَتَؤُمُّ النِّسَاءَ وَتَقُومُ وَسَطَهُنَّ) أخرجه البيهقي.

أخـــلاق وآداب

سُنَّة شكر الناس

د. راغب السرجاني

من أروع فنون العلاقات الإنسانية أن تُقدِّم الشكر لمن أسدى إليك معروفًا، فالذي يساعد الناس يبذل جهدًا لذلك، وقد يفعل هذا الجهد في مرَّة، ويفتر عنه في مرَّات أخرى، وتقديم الشكر له يساعده على استمرار بذل الجهد في هذا المجال، وليس في انتظاره للشكر شيء؛ لأن الفطرة الإنسانية مجبولة على ذلك، وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشكر الناس عندما يفعلون خيرًا لنا، فقد روى الترمذي -وقال الألباني صحيح- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللهَ).
بل وعلَّمنا كيفية هذا الشكر وطريقته، فقد روى الترمذي -وقال الألباني صحيح- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِه: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا. فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ). فلنحرص على شكر الناس، ولنحفظ هذا الدعاء النبوي الجميل: «جزاك الله خيرًا». ولا تنسوا شعارنا: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: ٥٤).



الأمـــانة.. روائع أخلاق الرسول ﷺ

موقع قصة الإسلام

١- رد الأمانات إلى أهلها عند الهجرة:

عن عائشة -رضي الله عنها- في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: (وأمر -تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم- عليًا رضي الله عنه أن يتخلف عنه بمكة؛ حتى يؤدِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمكة أحدٌ عنده شيء يُخشى عليه إلا وضعه عنده؛ لما يُعلم من صدقه وأمانته... فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاث ليالٍ وأيامها؛ حتى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لَحِق رسولَ الله صلى الله عليه وسلم) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، وابن كثير في البداية والنهاية، والطبري في تاريخ الأمم والملوك.

٢- رد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة:

عن ابن جريج قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨)، قال: نزلت في عُثمان بن طلحة بن أبي طلحة، قَبَض منه النبي صلى الله عليه وسلم مفتاحَ الكعبة، ودخلَ به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح(أخرجه الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم.

٣- لا يأكل تمرة ربما سقطت من الصدقة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وَاللَّهِ إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي -أَوْ فِي بَيْتِي- فَأَرْفَعُهَا لآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً -أَوْ مِنَ الصَّدَقَةِ- فَأُلْقِيهَا) أخرجه البخاري، ومسلم.

بين الثناء والنصيحة يقف ميزان الاعتدال

يحيى البوليني

لا شيء أثقل على النفس البشرية من النصيحة وخاصة عند من توجه إليه، فهي ثقيلة عند توجيهها وأثقل عند قبولها، ويزداد ثقلها عندما يتسع صدر المنصوح لها، ويكون العجب حين نجد نفوسا تبحث عنها وتطلبها وتسعد بها بل وتقول: «لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نقبلها». ولا شيء يسعد النفوس مثل الثناء، تفرح به نسبة عالية جدًا من النفوس مهما كبرت وعلت وارتقت، وربما تطلبه وتستحث الناس عليه، وقد تحزن إذا لم يتحقق وفق ما أملت ورجت، ومن النفوس من تطلب سماعه -ولو كان باطلاً- فتستحل ما يمتلك غيرها وتدعيه لنفسها طلبا للثناء.

وتختلف النصيحة في تقبلها عن الثناء الذي يتقبله معظم الناس بسرعة ويفرحون به، إذ أن الثناء لا يأتي غالبًا إلا بعد أداء عمل جيد أو يتصور أنه جيد، في حين يكمن ثقل النصيحة على النفوس في كونها لا تأتي غالبًا إلا بعد تقصير أو تصور تقصير، والنفوس -غالبًا- ما تحب من يثني عليها ويمتدح أفعالها ومواقفها وتكره من يواجهها بخطأ أو تقصير.

ولا أعلم أحدًا يشترط شروطا لقبول الثناء، فيقبله الناس من الجميع، الأعلى منهم والأدنى، ويقبلونه في أي موضع وبأية كيفية، لكن الشروط الشديدة لا توضع دوما إلا أمام النصيحة، فقد يقبلها بعضهم ممن يراه أعلى منه مكانة لا ممن هو أدنى -وذلك في تصوره فالله وحده اعلم بمنازل الناس عنده- ولا يقبلها إذا كانت في الملأ علانية ويعتبرها فضيحة لا نصيحة -وقد يكون معه حق في ذلك- وربما توضع شروط أخرى كثيرة معرقلة لها .

وهكذا فالثناء مستساغ محبب يؤخذ دون قيود ولا شروط من أي أحد وربما يستحب صدروه علانية، فان حاول نفس الأشخاص تقديم النصيحة ظهرت القيود والشروط والعقبات التي دائما ما تضعها النفس حتى ترد النصيحة على قائلها، ولكي تلتمس لذاتها العذر والمبرر في رفضها، ولتتهم حينها باذل النصيحة بإساءة استخدامها وسوء استغلالها، لتنتصر النفس مرة أخرى، ولا أعقد لذلك سببا سوى رفضها للنصيحة واستثقالها من الأساس، وصدق الله سبحانه في كتابه :﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾.

إن الثناء أمر عارض لا يلزم الإنسان قوله ولا سماعه، وينبغي أن يظل دوما أمرًا عارضًا، له حاجة يقدر بقدرها، فكثيرُه مضر أو مهلك، أما النصيحة الصادقة في موضعها فهي ضرورة تقيم قواعد الدين وتحفظ أساسه المتين، فقد كان النصح عمل أنبياء الله الكرام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾، وأخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه (الدين النصيحة).

وقد يكون الثناء في وقته ومكانه وقدره حاجة لرفع المعنويات وتثبيت الطاعات في أنفس أصحابها، يفعله المربي كوسيلة تربوية عندما يحتاجها فتكون أحيانا للحث والتوجيه وأحيانا للعلاج والدواء، وقليل من يجيد استخدام هذا الأسلوب لدقته، وأفضل من علمنا كيف نقوم به هو رسولنا صلى الله عليه وسلم: (نعم العبد عبد الله لو كان يقوم الليل)، (أَرْحَمُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِهَا أَبُو بَكْرٍ، وَأَقْوَاهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ وِعَاءٌ مِنَ الْعِلْمِ، وَسَلْمَانُ عَالِمٌ لا يُدْرَكُ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَعْلَمُ النَّاسِ بِحَلالِ اللَّهِ وَحَرَامِهِ، وَمَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ).

وليس كل ثناء محمودًا وليست كل نصيحة متهمة ومتجنية، فقد ينتفع المرء- وكثيرًا ما نرى ذلك- بنصيحة تألم منها مستمعها حين قدمت له ولكن كان فيها نفعه في دنياه وآخرته.

وتتباين مكانة ناصحك ومادحك منك بتباين الأثر النفسي عليك بين النصيحة والثناء، فناصحك يعلم سلفًا انه سيغضبك عند قوله لك ما لا تهواه، أما مادحك فيريد التقرب منك بمدحك بقوله الذي ترضاه نفسك وتحبه، ولهذا فمعظم الناس يقرب مادحه ويحب حديثه ويبعد ناصحه ويتأفف من سماع كلماته، وقليل من الناس من يستطيع أن يكسر ذلك الحاجز فيجعل مادحه وناصحه عنده سواء، بينما يندر من يحمل نفسا عالية تحب ناصحها وتقربه أكثر من مادحها التي تبعده وتحثو في وجهه التراب.

إن ميزان الاعتدال في كل أمر أنه لا إفراط ولا تفريط، فلا إسراف ولا تقطير فهو الحسنة بين السيئتين، فالثناء الزائد عن الحد مهلك لقلب القائل والسامع، وكذلك أيضا قد تكون النصيحة إذا كانت في غير وقتها أو موضعها مؤلمة وشديدة وربما أضرت حيث كان يرجى منها النفع.

بأقلامهن

المخيمات.. بيئة خصبة لمن يضع بصمة

د. ميمونة جنيدات

لقد اكتظت مخيمات الجوار باللاجئين من أطياف ومشارب وأماكن متعددة من أنحاء سورية، يجمعهم هم وَاحد ومعاناة وَاحدةٌ، من ماض بائس تلفّه ذكرياتٌ أليمة، ومآس تنوء بحملها الجبال، من أحبة فقدوهم، وصور فظيعة حُفرَت في ذاكرتهم، من أشلاء وهدمٍ واغتصابات وجثث شَوّهت معالمها فنون التعذيب قبل أن تلقى باريها، وأحياء وبلدات دَفَنت مدارج الصبا فيها أكوامٌ من الركام والأنقاض.

وواقع مؤلم ذاقوا فيه الذل بعد عز والفاقة بعد جدة والجوع والبرد ممزوجًا بذكريات كالعلقم ومستقبلٍ داكنٍ يلفهم بظلاله يَبُثُّ اليأس في قلوب مَن فقدوا معيلهم أو من فقد دكانه ومتجره وبضاعته وفقد قبل ذلك بيته بما حوى من أثاث شقي بجمعه سنين عمره ناهيك عمن فقد عضوا أدخله عالم المعاقين فدفن على أبوابه أحلامه وآماله.

لقد بات واجبًا على كل سوري في المهجر وكل عربي ومسلم أن يسهم بما يستطيع لدعم جمعيات ومؤسسات تمسح عن هذه النفوس الكليلة آلامها وتعالج أسقامها، وخاصة الأطفال والشباب الذين هم وقود البناء والنهضة، وإعادة تأهيلها من جديد وفق الأسس الحديثة للتنمية البشرية والنفخ في شرايين الإيمانيات التي تفيد كثيرًا في تهدئة الروع وزرع الأمل وتخطي الماضي وشد الرحال نحو المستقبل.

إن أطنانًا من الركام دفنت تحتها أحلامًا وآمالًا وبُنًىً تحتيةً من مدارس وكليات ومرافق ومساجد ومصانع ومحطات وغيرها مما يصعب إحصاؤه تحتاج إلى إرادة جبارة وهمم سامقة وجهود مضنية لإزالتها وإعادة الإعمار من جديد، وهذا كله لن ينبع من نفوس متعبة مثخنة بالجراح، مثقلة بالآلام والأحزان، منهكة بالإحباط... لذا صار لزامًا على كل ذي ضمير حي أن يسهم في إعادة بناء تلك النفوس أولاً حتى تصبح نفوسًا متزنة قادرة على العطاء...

إنها فرصة ذهبية لكل من أراد أن يضع له بصمة في هذا التغيير العملاق الذي انطلق من بلاد الشام، وسيبقى عابرًا للحدود والدول حتى يعم أرجاء العالم الإسلامي وتعود الخيرية للمسلمين مصداقًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم) وهم اليوم هبوا للعودة لأصولهم وجذورهم الخيّرة وقد شنوا حربا ضروسًا على الفساد وأهله، ويحتاجون إلى كل من يؤمن بتجارة رابحة مع ربه وخاصة من الميسورين وأصحاب الخبرة في مجالي العلاج النفسي والتنمية البشرية؛ للعون في إنشاء مؤسسات متخصصة في هذا تنشط لتأهيل كوادر فاعلة من سكان المخيمات وغيرهم، حيث أن التربة صالحة لنمو أي بذور تغرس، وهناك الكثير من الأسماء اللامعة والوجوه الفاضلة في العالم العربي، وليكن شعارنا معًا لنمسح الهم عن قلوب جريحة ونفوس مهيضة...

معًا لبناء إنسان قوي متوازن قادر على العطاء والإبداع والبناء نحو نهوض حضاري جبار ومجتمع فاضل ينطلق من أرض الشام إلى المحيط ثم إلى الأمة الإسلامية جمعاء بعون الله.



بأقلامهن

من قال إن الفتاة لا تستطيع الغزو و الجهاد؟

فتاة القرآن

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾
من قال إن الفتاة لا تستطيع الغزو و الجهاد؟
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في سبيل الله في أهله بخير فقد غزا).
عندما زادت دموية النظام الكافر فهدم البيوت ودمر الأحياء و قتل الأبرياء خرجت عائلات كثيرة، ألوف من الناس هجروا داخل البلاد من مكان إلى آخر سكنوا المدارس و المصانع والأبنية التي لم تكتمل ومنهم كثر افترشوا الأرض بلا مأوى وبين هذه الألوف مئات غيرهم منهم من سكن في بيوت أقاربهم ومنهم من استأجر منزلاً ومنهم من لديه منزلاً آخر فسكنه.
وحديثي هنا إلى هذه الشريحة بالذات والتي أنا منهم و للأخوات منهن دعوتي هذه.
أخواتي في الله من منكن لا تريد نصرة أهلها؟
لا أظن أبدًا أنه بقي اليوم مسلمة واحدة في سوريا لا تحلم أن تجاهد لنصرة أهلها ورد ظلم الطاغية.
أخواتي إن الجهاد اليوم فرض علينا ذكورًا و إناثا.
أختي الغالية جهادك اليوم فرض، عليك أن تجاهدي بأخواتك النازحات اللواتي لا يمتلكن من العيش كفافه..
أختي كيف يهنأ لك المأكل و المشرب و أخواتنا يعانين في لقمة العيش ويكابدن لأجل رغيف يسد رمقهن ورمق أبنائهن؟
أخواتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا، وَلَا تَزْهَدَنَّ فِي الْمَعْرُوفِ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ)، أو كما قال.
فلو زرت اللاجئات بوجه بشوش فلك عليه أجر.
قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ لَكَ وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالَةِ لَكَ صَدَقَةٌ وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أخيك لك صدقة).
أخواتي.. هاكم الطريق إلى الجنة فلا تستيئسن ولا تفتُرن، فالمقاتل عندما يعلم أننا مع أهله سيحارب عن عشرة بإذن الله.
أختي مسحك على رأس ابنة شهيد هو عند الله أجر عظيم.
لنتماسك معا صفًا واحدًا ولنشكل الجدار الاستنادي للمقاتلين من خلفهم بتلاحمنا وتراحمنا فلا تتركن أهلهم في ضيق حال.
أخواتي قد زرتهن مرات و مرات و هذه المرة قررت أن أقدم هذه المقاطع من زيارتي لأخواتي اللاجئات لعلها تحرك الضمائر و تشجع الأخوات على خطوة مماثلة.



خاطرة

لبابة



في كل ليلة.. في تمام الساعة ١١ تضيء سماء أبها بالألعاب النارية التي تستمر لمدة ٤ دقائق.
قبلها بنصف ساعة يطلقون واحدة فقط.
تجتمع السيارات عند الجسر.. يحتشد الناس.
و في الشقة يجتمع اولادي الثلاثة على الشرفة ينتظرون بشوق..
حتى ياسر الصغير يسأل بين الحين و الاخر: (وينو ضو)؟
تبدأ الألعاب.. الأصوات عالية جدًا، يهتز معها زجاج النوافذ، و يصاحبها هتافات المتفرجين ابتهاجًا.. و التصفير و التصفيق.. وبانتهائها تعكر الأجواء بدخانها، ورائحة الكبريت.
ينصرف الناس مسرورين.. وبعد دقائق تهدأ الأجواء ونذهب للنوم.
يستحيل النوم قبل أن تنتهي الالعاب لأنها ستوقظنا فزعين..
منذ الليلة الأولى تبادر إلى ذهني المشاهد المنتشرة لصواريخ وقذائف يُرمى بها إخواننا في سورية وفي غزة.. وشتان!!
فهذه تأتي على غير موعد وبلا سابق إنذار.. صوتها المدوي يشق هدوء الليل، ضوء لهبها يمحو لون العتمة، أدخنتها سحب سوداء فوق المدينة، تتبعها صرخات الهلع والخوف، وتكبيرات المؤمنين..
شرارها يحمل شظايا بلا لون ولا عنوان، يسقط على رؤوس الجموع التي تجري بغير هدى.. تبحث عن مفر و ملجأ.. وفي دقائق.. يخلو المكان.. و يسود الصمت.. فيه طمأنينة أرواح الشهداء، ويبدأ السواد بالانقشاع..
و بحذر. تطل رؤوس الناجين.. ثم ينطلقون بلا تردد بين ما تبقى من معالم تلك البقعة، تعلو أصواتهم للنجدة تنادي المتطوعين: أسرعوا هنا جثة.. و بين تلك الأنقاض طفلة! تشق أصواتهم صراخ أم تبحث عن وليدها، وأخ يبحث عن أخواته.. يناديهم بأسماءهم و هو يجري من ركن الى ركن، وصيحة طفل يبحث عن أمان.. عن تفسير لهذا العدوان..

و ينتهي ذلك المشهد عندنا.. ويستمر هناك ويتكرر.. في ليل أو نهار.. ويبقى في القلب ألم جرح وفي الذاكرة بقايا صور مشوشة.. ولسان يلهج بالدعاء: اللهُمَّ سَلِمهُم.. اللهُمّ آمِنهُم.

بأقلامهن

الصعود إلى القمة!

د. صفية الودغيري

نظرت إلى السماء وسبحت أفكاري في فضائها الرَّحب، وتأمَّلت الطُّيورَ وهي تُصفِّق بجناحَيْها، فألْهمت قلبي المَحْمومَ بهُموم الحياة وصَبَواتها المُترَفة، فعرفتُ بأنَّ الصُّعودَ إلى القمَّة يُورِّط أهلَه الحَيْرَة، ويُشْرف بهم على منابر الشُّهرة، ويُلْقي بهم في عَرَصَات المَجْد ومَشاربه، وكلَّما ارْتَفَعَت مَنْزلَتُهم قلَّ شُكْرُهُم للنِّعَم السَّابغَة، ونَسُوا ما أُهْدِيَ إليهم من فَضْل، وما أُسْدِل إليهم من مَعْرُوف، فذَاقُوا لِبَاسَ الجُوع والخَوْف، وتَقَاسَمُوا من نواميس الطَّبيعة البشريَّة ما أخبرنا الله بلطائفَ منها قوله تعالى في أهل سبأ: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ وقوله تعالى في أهل مكة: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

لقد تَعلَّمْتُ منْ تأمُّلاتي ومُشاهَداتي أنَّ الصُّعودَ إلى القمَّة طَريقُهُ شاقٌّ طويل، وارْتِقاءُ مَدارجه تَحْملُ صَاحبَها على بَذْل ضعْف طاقَته وحيويَّته، فإنَّ للطَّمَع لذَّةً تَسْتَدْعي الصَّبرَ على العذاب الوَارف، والوَجَع العَصي، وأنَّ ارْتفاعَ المنزلة تَعْقدُ القلوبُ عليها آمالَها، وانْبِسَاطَ السُّلطان تلوذُ بحياضه الأماني، وامْتدادَ القوَّة لا تَنْأى بالنَّفس عن الانْدفاع والمُغامَرة، ولا تُبرِّئُها منَ التِّيه والغُرور، والاعْتداد بالحَوْل والطَّوْل، وبَسْطَة الجاه والبَأْس. وأنَّ الصُّعودَ إلى القمَّة يُفْسحُ لأهْله اسْتقْبالَ أيَّامهم بمَوْفُور الثِّقة، ويَشْغَلُ تفكيرَهُم بالتَّخطيط لما هو آت مُؤمَّل، ويَجْتاحُ قُلُوبَهُم بمُلمَّات القضايا اجْتياحَ العَواصف، تُدْميهم تَأوُّهاتُها المَكْلومَة بما تَدَّخرُه المَطامعُ ممَّا يحُبُّون ويكْرَهُون.

ولكن ما تلبث أنْ تَمْتَصَّ نشوةُ الصُّعود متاعبَهُم، وتَخْلَعُ عن ذاكرَتهم المُثْقَلة ما يُؤرِّقُها، وتُرْتِّقُ مَسامَّات جراحهم، وتصلُ أسبابَ هَزيمتهم بالانْتصار عليها، وكلَّما بلغُوا مَبْلَغًا عَليًّا، أو أدْرَكُوا إنْجازًا عظيمًا، أو نَجاحًا باهرًا، أو ارْتَقُوا مَقامًا مَرْموقًا، تَذَكَّرُوا بأنَّ امْتلاكَهُم للقوَّة بعد ضَعْف، والعلْمَ بعد جَهْل، والثَّراءَ بعد فَقْر، والاسْتغْناء بعد احْتيَاج..

فمنهم من يَدْعُوهُ ذلك إلى الارْتفاع عَن النَّقائص، والتَّنزُّه عَن الصَّغائر، مَثَلُهُم في حرْصهم على الشُّكْر المُتَّصل، ووَفَائهم الدَّائم، وتأدُّبهم مع المُنْعم بالعَطاء، كمَثَل ما جاء على لسَان سليمان عليه السَّلام، لمَّا سَخَّر الله له الرِّيح والجن، وعَلَّمَه مَنْطقَ الطَّيْر والحَيَوان: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

ومنهم من يُمْعنُ في الإقبال على الشَّهَوات، والإسراف في المَلَذَّات، فيُصيبُه ما يُصيبُ المَحْمومَ منَ الهَذَيان، ولكن شَتَّانَ ما بين هَذَيان الحُمَّى وهَذَيان الطَّمَع، وشَتَّانَ ما بين مَنْ يَدْفَعُهُ الصُّعودُ إلى القمَّة إلى طَلَب المَعالي، والاسْتكْثار منَ الفَضائل ومكارم الأخلاق، وبينَ مَنْ يَدْفَعُهُ الصُّعودُ إلى أنْ يكونَ أكْفَرَ النَّاس بالنِّعمة المُسْداة، وأجْحَدَهُم بالصَّنيعَة المُهْدَاة، وأنْساهُم بالمَعْروف، وأعَقَّهُم بالأهل والأصْحاب، وأشَدَّهُم إنْكارًا للحق وإعْلانًا للباطل، يطلبُ الجدَّ في مَوْطن الهَزْل، والفَضائل بما يُقَوَّم بالثَّمَن، ويُحَدَّد بالكَيْل، والوَزْن، والعَدَد، ويَنْشُدُ الغايات بما يُبَرِّرُها منَ الوَسائل الرَّخيصَة، التي تُورثُ أهْلَها نَقْصَ المُروءَة، والإمْعانَ في الكُفْر والجحود.

إنَّها تَجلِّياتٌ لبعض الصُّوَر الاجتماعيَّة، الغائرَة في عُمْق الذِّهْنيَّة المُعاشَة، وتأمُّلاتٌ لأولئك الذين نَشْهَدُ ظُهُورَهُم وأُفُولَهُم منْ ذَوي القُوَّة والبَطْش، والأحْلام التي لا تَكلُّ منَ البَحْث عن المَجْد الذَّاتي، وزيادة رَيع ثَرواتهم، على حساب نَهْب خَيْرَات بُلْدانهم وأوْطانهم، واسْتغْلال وظَائفهم، والمُتاجَرَة بالقيَم، يُفيضُون على رُؤُوس الخَلائق فَضَلاتهم المُشْتَهَاة بالصَّحْو والإشْرَاق، فيَشْهَقُونَ بعَذابَاتهم، ويتَجرَّعُونَ مَوَاقدَهُم، ورَمادَ مَجَامرهم، وتَثُورُ فيهم مراسيمُ الحدَاد بنُواحها الدَّامي، ووَحْشَتها غير المُحْتَمَلَة، منْ شدَّة تَلوُّث أفكارهم بعيوبها المُتَواترَة، ومفاهيمها المُعْتَمَة، المَبْثُوثة على صفحات تاريخهم القَابع في الظَّلام، المَشْحون بطُغْيانهم الفَاضح، وضَلالاتهم المُنْتَهَكة، وعصْيانهم الصَّاخب بعَوْراتهم المُشاعَة في أُمْسيَّاتهم البَهيَّة، يركُضُون على أديم الأرض وتُرابها، ويَعْبُرونَ على أشْلائها، ويَسْتَحمُّونَ بدمائها، ويَغْرفُوا ما يَرْوي مطامعَهُم منْ مَغَانمهم المُسْتَطابَة بجَرَائمهم، التي تجاوَزَت كُلَّ المبادئ، واخْتَرَقَت كُلَّ الدَّسَاتير والقَوانين الإنسانيَّة، وانْتَهَكَتْ كُلَّ الحُرُمات، واغْتَصَبَتْ كُلَّ الحقوق، تَنمُّ عن إرْهاصاتهم وشَهَواتهم المَكْبوتَة، ورَغَباتهم المُنْحَرفَة، لا يَجدُ فيها المُتابعُ إلَّا حالات مَرَضيَّة، انْسَلَخَت عن دَلائل الفطْرَة السَّليمَة، والرُّوح الحُرَّة بهذيلها العَذْب، وشَدْوها الطَّاهر...

ولكنَّ حياةً كهذه مشْحونَةً بالمَظالم، قد امْتلأت بالدُّروس وفاضَتْ بالعبَر، يكتشف منها الباحثُ عن الحَقيقة، مَطَالعَ الأسْرار، ومسَاقطَ الضَّوْء على الوَجْه الإنْساني، وما تُفسِّرُه الأحداثُ حينَ تُقْبل وتُدْبر، وقَصَصَ الغَابرينَ منْ أصحاب الجاه الرَّفيع، والعزِّ المَنيع، والسُّلطان الواسع، ممَّن غَشيَهُم البَطَر، والطُّغيان، وسَعَوْا في الأرض فسادًا، فرُدُّوا إلى حياة كانت عليهم نَكالاً وشرًّا، وصَعَدُوا القمَّة ولم يسْتَقرَّ بهم صُعُودُهُم أَمَدًا بعيدًا، فاضْطَرَبَت الأرض منْ تَحْتهم، وزُلْزلُوا زلْزَالاً شَديدًا، فأصْبَحُوا على ما فَعَلُوا نادمينَ، فجَاء التَّحذيرُ والنَّذيرُ ممَّا أصابَهُم في كثير من آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

فعلى الإنسان اليوم أنْ يَعْتَبرَ بمَصارع هؤلاء الأُمَم الباغيَة المُتَجبِّرَة، في واقع ما نمُرُّ به من أحداث ومواقفَ عَصيبَة، وأنْ نَظْفَرَ بما يَبْعَثُ تغييرًا وإصلاحًا حقيقيًّا على المستوى الفَردي والجَماعي، ونَتعلَّم أنْ نَكونَ قمَّةً حين نَصلُ إلى القمَّة، فنَرْتَقي بالدِّين، والأخْلاق، ونَسْمُو بالضَّمير الإنْساني عن حُطام الدُّنيا، وأن نسْتَقيم على طريق الهداية والطَّاعَة، ونخلص نيَّاتنا وسَرائرنا، ونَخْلَع عن غاياتنا ما يُبرِّرُها من الوسائل الدَّنيَّة، أو تسخيرها لطُغيان الطُّغاة، وظُلم الظَّالمين، ونُفَرِّغ الذَّاكرَة من مَخْزون مَطامعها، وذَخيرة الآمال ومباهجها أنْ تُرْسلَ بَوْحَها في الفَضاء، ونَكُفَّ هَوانَا عن تَصَدُّعَات فَرْط النَّشْوَة المُغَنَّاة، أو أنْ تَعْبَثَ بنا عَواطفُنا المُورقَات، وتُوقظ فينا تَجاعيدَ العَطَش للمَلذَّات، وأفْراحَنا المَشْبوبَة بعطْر الأحلام، المَفْرُوشَة بسَرائر التَّرَف، ووَسَائد السَّمَر الطَّرُوب.

إنَّ النَّجاحَ الحقيقي في الحياة ليسَ في بُلوغ القمَم، والتَّربُّع على عُرُوشها، باسْتخدام أساليبَ قَذرَة، أو بالتَّمَلُّق لهَؤُلاء وأُولئك، وانْتهاز الفُرَص أسْبَابًا لغايات ساقطَة، أو إشْباع أطْماعَ مَنْ لا يَشْبَع، وإفْعَام جُيوبَ لا تُفْعَم، والمُتاجرة بالقلوب والعقول، والضَّمائر والأخلاق..

إنَّما النَّجاح الحقيقي في العَمَل الجَاد، والتَّنزُّه عن الدَّنيَّات، وارْتقاء القمَم بالطُّرُق المَشْرُوعَة، ولا خَيْرَ في حياة ليسَ فيها للدِّين منْ حمَايَة، وللأخلاق منْ رعَايَة، وللضَّمائر منْ اسْتقَامَة، وللمَناصب منْ كَرَامَة.. ولا خَيْرَ في صُعُود يَعْقُبُهُ السُّقُوطُ منَ القمَّة إلى الهَاويَة، لأنَّهُ مَهْمَا اتَّصَلَ سُلْطانُ الباطل فسُلْطانُ الحَقِّ مُنْتَصر، ومَهْما عَلا صرْحُ الجَوْر وشُيِّدَ بأضْخَم الحجَارَة وأصْلَبها، وتَفَاخَمَ بالصُّخُور الشَّامخَات فهو مُنْدَك، وصرْحُ العَدْل يعْلُو ولا يُعْلَى عليه.

واحـة الشعـــر

قالوا العروبة

بهاء الدين الأميري

قالوا العروبة قلنا إنهـــا رحم
ومـــوطن ومروءات ووجدان
أما العقيدة والهـدي المنيـر لنا
درب الحيـــاة فإسلامٌ وقرآن
وشرعة قد تآخت في سماحتها
وعد لها الفـذ أجناس وألوان



أشدُّ الجِهادِ

أبو العتاهية

أشدُّ الجِهَادِ جهــادُ الهوى
ومَــا كــرَّمَ المرءَ إلاَّ التُّقَى
وأخلاَقُ ذِي الفَضْلِ مَعْرُوفةٌ
ببذلِ الجميـلِ وكفِّ الأذَى
وكـلُّ الفَـكَاهــاتِ ممْلُولــةٌ
وطُولُ التَّعاشُــرِ فيهِ القِلَى
وكــلُّ طريــفٍ لَــهُ لَــذَّةٌ
وكـــلُّ تَليــدٍ سَريعُ البِلَى
ولاَ شَــيءَ إلاَّ لَــهُ آفَـــةٌ
وَلاَ شَــيْءَ إلاَّ لَـهُ مُنْتَهَــى
وليْسَ الغِنَى نشــبٌ فِي يَــد
ولكنْ غِنى النّفس كلُّ الغِنى
وإنَّـــا لَفِـي صُنُــعٍ ظَاهــرٍ
يَدُلّ علَى صانــعٍ لا يُرَى



الوحي مدرستي الكبرى

د. عايض القرني

أنا الحجــازُ أنا نجــدٌ أنا يمــنٌ
أنــا الجنوبُ بها دمعـي وأشجَــاني
بالشّــامِ أهلي وبغدادُ الهوى وأنــا
بالرقمــتينِ وبالفسطـــاطِ جِيـرانــي
وفي رُبى مكـــةٍ تــاريـخُ ملحمـــة
علــىً ثَراهــا بنينـــا العالمَ الفانــي
دفنتُ في طيبة رُوحي ووالهفـــي
في روضةِ المُصطفى عُمْري ورِضْوَانِـي
النيلُ مَائي ومِنْ عمّانِ تذكرتـــي
وفي الجــزائــرِ آمالــي وتِطْـوانـــِي
دمي تصبّبَ في كابــول مُنْسَكِبــاً
ودمعتــي سفحــتْ في سفْـحِ لُبْنــانِ
فأينمـــا ذُكر اسمُ اللهِ في بلـــد
عددتُ ذاكَ الحمى من صلبُ أوطــاني
والوحي مدرستي الكُبرى وغارُ حِرا
ميلادُ فَجْـري وتوحيــدي وإيمانـــي
وثيقتي كُتِبَـتْ في اللّوحِ وانْهَمَــرَتْ
آياتُهــا فاسألـُوا يا قــومَ قُــرآنـــي

تراجم

عبد القادر بن بدران الدُّومي (١٢٨٠هـ_ ١٨٦٤م - ١٣٤٦هـ_ ١٩٢٨م).

هو العلَّامة الشَّيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران: فقيه أصولي حنبلي، لقّب بابن بدران، نسبةً إلى بَدْرَانَ اَلسَّعْدِيّ الجدّ الأكبر للأسرة، وُلد في أسرة صالحة تقيّة، سنة ١٢٨٠هـ_ ١٨٦٤م بمدينة دوما، التي تقع بريف دمشق، ثم سكن دمشق وتوفي بها.

ابتدأ طلب العلم في بلدته دوما على يد مشايخها، ابتداءً بجدِّه الشيخ مصطفى بدران، ثم على يد شيخه الشيخ محمد بن عثمان الحنبلي، المشهور بخطيب دوما، ثم انتقل إلى دمشق، فطلب العلم على يد محدِّث الشَّام العلامة محمد بدر الدين الحسني رحمه الله، وتلقّى في هذه الدار كذلك عن شيخ الشام، ورئيس علمائها الشيخ المحدث سليم بن ياسين العطار، كما درس علوم اللغة العربية على يد الشيخ طاهر الجزائري، أحد كبار علماء الشام ومصلحيها.

ثم أكبَّ على الكتب ينهل من معينها في كلّ الفنون والعلوم، فبرَع في سائر العلوم العقليَّة والأدبيَّة والرياضيَّة، وتبحَّر في الفقه والنَّحو، بيد أنّه أولى عناية خاصّة لعلم أصول الفقه، فكان رحمه الله علَمًا من الأعلام، عُينَّ مُفتياً للحنابلة، ومُدرساً بالجامع الأموي.

بدأ يُلقي دروساً منتظمَةً في جامع دوما الكبير، وأصبح عضوًا في شعبة المعارف، التي تشكلت سنة (١٣٠٩ه) لنشر العلم والثقافة والتربية، وشحذ همم الناس على تعليم أطفالهم وإرسالهم إلى الكتاتيب والمدارس.

اشترك في عهد العثمانيين بتحرير جريدة المقتبس، وكتب في صحف دمشق كالمشكاة والشام والكائنات والرأي العام. وفي سنة ١٣٢٩هـ أنشأ مجلة «موارد الحكمة».

كان متبعًا للسلف، منكرًا على البدعة، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، حتى ابتلي من الحكام ومشايخ الدولة، وجهلة الناس.

تتلمذ على يديه خلقٌ كثير، من أبرزهم:

- المؤرخ خير الدين الزركلي، صاحب كتاب الأعلام.
- العلامة محمد صالح العقاد الشافعي، الذي كان يقال عنه: «الشافعي الصغير»
- العلامة المؤرخ محمد أحمد دهمان.
- الأديب الشاعر محمد سليم الجندي، من أعضاء المجمع العلمي في دمشق.
- فخري بن محمود البارودي، من رجال السياسة والأدب.

بلغ عدد مؤلفاته (٤٦) مؤلفًا، منها:

- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل.
- الرَّوض البسَّام في تراجم المفتين بدمشق الشَّام.
- شرح روضة الناظر لابن قُدامة.
- تعليق على لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة.
- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر «يقع في ثلاثة عشر مجلداً».
- تاريخ دوما منذ فجر الدولة العباسية حتى القرن الرابع عشر الهجري.
- الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية.

ضعف بصره قبل الكهولة، وأصيب آخر حياته بمرض الفالج، وتوفي - رحمه الله- في ربيع الثاني ١٣٤٦هـ_ ١٩٢٨م، ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق.

شـــذرات

« إنَّ من عظُمت الدُّنيا عنده: أحبَّ المدحَ وكرِهَ الذَّمَّ، فربما حمله ذلك على ترك كثير مِنَ الحق خشيَةَ الذَّمِّ، وعلى فعل كثير مِنَ الباطل رجاءَ المدح، فمن استوى عنده حامدُه وذامُّه في الحقِّ، دلَّ على سُقوطِ منزلة المخلوقين من قلبه، وامتلائه مِنْ محبَّة الحقِّ، وما فيه رضا مولاه.
كما قال ابن مسعود: اليقين أنْ لا تُرضي النَّاسَ بسخط الله».
(جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي).

﴿أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (يوسف: ٦٩).
الأصل في الأخوة أن يُذهب الأخ عن أخيه البؤس، ويبعث في نفسه الطمأنينة، والأنس بالود والقرب.

إذا لم تعرف عنوان رزقك.. فلا تخف.. لأن رزقك يعرف عنوانك.. فإذا لم تصل إليه.. فهو حتما سيصل إليك.

قال ابن تيمية في « اقتضاء الصراط»: «فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم: تارة بخلا به، وتارة اعتياضًا عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوفًا في أن يُحتج عليهم بما أظهروه منه.
أمّا أهل العلم من أهل السنّة الخُلّص فهم كما قال الأولون: «قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم».